

مفهوم اللوحة الحامل ومراحل تطورها

د. علي سليمان⁽¹⁾

المُلخَص

صحيح أن مصطلح اللوحة الحامل كمصطلح لفظي قد ظهر في مرحلة ليست بعيدة جداً، ولكن اللوحة الحامل بحد ذاتها كأداة وظيفية كانت قد ظهرت منذ مراحل ما قبل التاريخ، إذ رسمت الرسوم القديمة على الجدران أو على الألواح الحجرية، أو غيرها، ونستطيع أن نعدّ هذه السطوح "لوحة حامل".

وقد تطور هذا المفهوم بتقديم الزمن متخذاً أشكالاً عدة أسهمت في تطور اللوحة شكلياً، بدأ بأشكال بسيطة وظيفية مهمتها حمل اللوحة الفنية، إلى أن اتخذ المفهوم الفعلي للوحة المسندية التي كانت أساساً في عدة الفنان، وانتهى بمراحل متطورة استغنت (في بعض الأحيان) عن اللوحة الحامل، ولكنها لم تقصها.

الكلمات المفتاحية: اللوحة الحامل.

⁽¹⁾ أستاذ مساعد، قسم التصوير، كلية الفنون الجميلة، جامعة دمشق.

Easel Painting Concept, and Stages of its Development

Dr. Ali Suliman⁽¹⁾

Abstract

It is true that easel painting appeared in a period not too far as a verbal term, but the easel painting itself is a functional tool had emerged since prehistoric period, Where the old drawings painted on walls or on stone tablets or other, we can consider these surfaces. "Easel painting."

This concept has evolved during the time taking many forms contributed to the evolution of painting formality, it began by simple and functional forms task of carrying art painting, then it take the actual concept of the easel painting, which was mainly in several artist equipment's. And it ended up advanced stages dispensed sometimes easel painting, but did not cancel it.

Keywords: Easel painting.

⁽¹⁾ Associt Prof., Painting Department, Faculty of Fine Arts, Damascus University, Syria.

المقدمة

فنان مكلف بتنفيذها على أنها يمكن أن تكون من التجارب الأولى للوحة الحامل. "بليني pliny هو مؤلف كتاب التاريخ الطبيعي Natural History ويعدّ كتابه الأقرب إلى توثيق المعارف القديمة، وكثيراً ما يجري التعامل معه على أنه موسوعة، وكان يستخدم كمرجع تاريخي للأعمال الفنية الشهيرة التي جاءت قبل هذا التاريخ، وقد وقع به باسم بليني الأكبر Pliny the Elder إلا أنّ اسمه الحقيقي كان Caius Plinius Secundus كايوس اسكوندس (الشكل 2) وكتابه يعدّ أبرز دليل مكتوب ومؤرخ على أن الحامل كان موجوداً قبل تاريخ 77م².



الشكل (2) بليني الأكبر

والدليل الآخر على الحامل كان موجوداً في تاريخ آسية هو عمل تصويري بعنوان (عالم متصوف) نفذه الفنان وانغ وي. "ويظهر في اللوحة رجل يقرأ على لوحة تشبه لوحة الحامل، ويعتقد أن هذا العمل يعود إلى القرن الثامن الميلادي"³ (الشكل 3).

تعود بداية نشوء فكرة اللوحة الحامل إلى الفنانين الهيروغليفيين الذين استخدموا الحامل كقطعة من القماش المشدود حول الركبتين، (وهي مشكلة البحث التي نتلخص في اثبات أنّ مفهوم اللوحة الحامل مفهوم قديم جداً) "وكانت القماشة المشدودة تشكل حاملاً متيناً للكتابة التي تعرف اليوم على أنها نوع من الرسومات الفنية المقروءة، لأنّ كثيراً من كتاباتهم وفنونهم كان لها دلالات دينية، وكان الأعمال المنتهية تعرض على حوامل صنعت لهذا الغرض، وتعرف اليوم باستانادات الكتب أو المكتبة"¹ (الشكل 1).



الشكل (1) تمثال الكاتب متحف اللوفر ويظهر أول لوح للكتابة ومن ثم أول حامل.

وجاءت كلمة الحامل في مراجع اللغة الانكليزية easel، وهي اشتقاق من اللغة الألمانية، ومرادفة لكلمة حمار في اللهجة الجرمانية القديمة ESEL، وتشير هذه الكلمة في العديد من اللغات إلى الحمار مثل الهولندية schildersezel واللاتينية Asinus.

ويعود أول تسجيل رسمي للحامل إلى القرن الأول الميلادي عندما كتب بليني الأكبر عن لوحة كبيرة كان

² Pliny The Elder Image - Courtesy Prints and Photographs Division, Library of Congress- Naturalis Histories Image - Source: English Wikipedia.

³ Contemplative Scholar Image - Wang Wei. Scholar Fu Sheng. Osaka Municipal Museum, Osaka. Ancient China. By Edward Schafer. (New York, TIME LIFE Books, 1967) 123.

¹ Hieroglyph Man Image - Artist unknown. Scribe from Tomb of Saqqara. The Louvre, Paris. Everyday Life in Bible Times. Melville Bell Grosvenor, Ed. (Washington D.C.: National Geographic Society, 1967) 112

اللوحة المسندية في عصر النهضة:

وقد ازدادت الحاجة إلى الحامل في القرن الثالث عشر ازدياداً كبيراً، عندما أصبحت اللوحات القماشية أكثر شعبية، وتضاءل الطلب على اللوحات الجدارية، وازداد انتشار فن التصوير، ومعه الحامل، حتى أصبحت لوحة الحامل في عصر النهضة هي العنصر الرئيسي في المجتمع الفني (الشكل 5).



الشكل (5) "فتاة في فستان وردي تجلس مقابل الحامل مع عود"، للفنان الشهير جان باتيست كاميل كورو
..Jean Baptiste Camille Corot

"ومع تطور الفن في عصر النهضة وزيادة الطلب على أعمال الفنانين، صار على الفنان أن يطور الحامل بما يناسب احتياجاته، كما نرى في هذه الصورة التي يظهر فيها أفلاطون وسقراط في أثناء مناقشة علمية، حيث عدل الحامل ليشمل الكرسي، ونرى فيها أسلوباً ذكياً في تعديل الطاولة"⁴ (الشكل 6).



الشكل (3) عالم متصوف - وانغ وي

وفي القرن الثاني عشر الميلادي ظهرت الحوامل المضيئة حيث استخدمت من قبل الرهبان، حين كانوا يقومون بكتابة مخطوطاتهم، ولأن هذه المخطوطات كانت لها قدسية دينية فقد كانت تمتاز بالدقة والإتقان في أثناء تنفيذها، ومن الجدير بالذكر أن بعضاً من هذه المخطوطات تعد اليوم أعمالاً فنية إبداعية عالية المستوى. كاللوحات الدينية (الأيقونات) التي رسمت على سطوح مختلفة مثل الجدران أحياناً والقماش والخشب وغيرها من الحوامل المختلفة... وهي أسطح تعتبر لوحات حاملة للموضوعات الدينية المختلفة (الشكل 4).



الشكل (4) لوحة دينية (أيقونة) منقذة على جدار حامل.

⁴ Socrates and Plato Image - Matthew Paris. Drawing from Liber Experiment Arius by Bernard's Silvestre's. The Bodleian Library, Oxford. The Age of Faith. By Anne Fremantle. (New York: TIME LIFE Books Inc., 1965) 98

وصلت هذه التغييرات إلى الشمال كما نرى في أعمال فان أليك Van Eycks وآخرين⁵.



الشكل (7) اللوحات القماشية

اللوحة المسندية والمدارس الفنية الحديثة:

حقّق اختراع الحامل القابل للحمل، والمزود بمكان خاص للزيت والألوان في القرن الخامس عشر الميلادي (الشكل 8)، قفزة في لوحات المناظر الطبيعية، إذ حمل الفنان مرسومه، وخرج للطبيعة، وتخلّى عن المراسم والغرف المغلقة، وصار قادراً على التجوال وهو يحمل عدة العمل بسهولة ويسر، وكان هناك ما يسمى بالرصد لتلك الحالة المتجلية في الهواء الطلق بحيث يضيف الفنان على عنصر المشهد المائل أمامه حالته الحسية الخاصة على المشهد، ويسجل انطباعاته الحسية المباشرة بالتركيز على عنصرى الظل والنور. لهذا السبب سميت بالانطباعية، وقد كانت أعمال الانطباعيين مميزة، ومنهم الفرنسيون خاصة، وقد برز أعلام لتلك المدرسة أمثال الفنانين: ادوار مانيه - Mane - سيزان Sesanne - ادغار ديغا Edgar - degas رينوار - كلود مونييه Claude Monet .. الخ، وكذلك فنانون ما بعد الانطباعية مثل فان كوخ van Gogh الذي كان يرسم وهو في الطبيعة ذاتها (الشكل 6) حيث يرسم الموضوعات محاولاً إظهار ما يراه خلف المشهد.



الشكل (6) أفلاطون وسقراط في أثناء مناقشة علمية

وهكذا أصبح الحامل في عصر النهضة رمزاً للاحترافية في فن التصوير، وخاصة في فن البورتريه، وفي عام 1935 جمع بيير ليبرون Libran مقالات مهمة عن فن الرسم، إذ وصف بها الحامل بأنه أداة أساسية للرسم. وبالتالي أصبحت لوحة الحامل شيئاً متعارفاً عليه عالمياً في القرن السابع عشر، ووجود اللوحة الحامل في عالم الفن لم يحدث فجأة وإنما كان له تطوره التاريخي في الفنون المبكرة، وخاصة في إيطاليا حيث كانت تتقدّ الأعمال الفنية على أرضيات جصية أو مسطحات خشبية، وكانت هذه الأعمال تتقدّم برعاية الكنيسة أو العائلات الدينية، ولهذا كان الفنان مقيداً ومحدوداً، ومع ظهور اللوحة القماشية (الشكل 7). صار الفن أكثر حرية واستطاع الفنان أن يعبر عن ذوقه الخاص وجماليات عصره حسب رؤيته الفنية، "وقد يكون جيتو jeto مثلاً بارزاً على ذلك إذ بدأت الألوان الزيتية تتقدم على ألوان التيمبرا وصارت تظهر تغييرات واضحة في التكنيك الفني، وطريقة العمل على اللوحة في القرن الخامس عشر. وقد

⁵ <http://lingualeo.com/es/jungle/easel-painting-historical-notes-270835#/page/1>

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن خروج الفنان من محترفه لم يجعله فقط على تواصل مع الضوء والطبيعة، بل أيضاً جعله أكثر قدرة على التواصل مع بقية الفنانين ومشاركتهم أفكارهم وتجاربهم الفنية، والتفاعل مع الحركة الاجتماعية بتفاصيلها كلها، وهو ما ميز الحركة الفنية في ذلك العصر.

تأثير الثورة الصناعية والمدارس الحديثة:

أحدثت الثورة الصناعية بالغ الأثر في المجتمع الأوروبي من خلال تأثير تحول عنصر القوة في المجتمع من قوة الطبيعة وقوة الإنسان إلى قوة الآلة، وقد كان لها أثرها على الفنان التشكيلي بوصفه جزءاً من ذلك المجتمع، وقد بدأ تأثير الثورة الصناعية في فن التصوير يتجلى بظهور مدارس فنية حديثة ابتعدت عن اللوحة التقليدية.

كانت بداية التأثير كانت بعد ظهور الآلات البسيطة والمعقدة في عصر النهضة الأوروبية، وكيف كانت الاكتشافات العلمية في تلك المرحلة وأثرها في تطور الآلات وانعكاسات ذلك التقدم العلمي على الفنون بشكل عام، وفن التصوير خاصة حيث أصبحت الآلة أحد العناصر المهمة في التكوين الفني للعمل التشكيلي عند الفنان.

كما كان لمفهوم الثورة الصناعية واتساع الواقع الثقافي للمجتمع الأوروبي أثر كبير في فن التصوير في القرن الثامن عشر حينما تغيرت طريقة الرؤية البصرية لفن التصوير والاتجاه نحو الآلة، كذلك في تأثير قوة الآلة العسكرية الذي ظهر واضحاً في الفنان الذي عاش مراحل الحرب العالمية الأولى والثانية، فكان ارتباط المستقبلية بالحركة الميكانيكية، وظهور الدادائية كحركة احتجاج على اجتياح الآلة وسيطرتها على المشاعر الإنسانية، وعندما اضطرت عدد من الفنانين الأوروبيين للهجرة إلى الولايات

ففي نظر فناني ما بعد الانطباعية أن هناك شيئاً جوهرياً أكثر أصالة وعمقاً يكمن وراء المشهد، وليس دور الفنان نقل ما يراه بالدقة والتفصيل، بل يكمن في التعبير عن ذلك الشيء الجوهري الذي لا يقال بالكلمات. وسميت بهذا الاسم لأنها تنقل انطباع الفنان عن المنظر المشاهد بعيداً عن الدقة والتفاصيل. ومن خصائصها محاولة تسجيل الانطباعات المرئية المتغيرة ونقلها عن الطبيعة مباشرة. "وقد برع التأثيريون Influence في تصوير ضوء الشمس، وابتدعوا التصوير في الهواء الطلق وبدأت الحركة في العام (1870)، وفقدت كثيراً من أنصارها في العام (1880)، ولكنها لم تشتهر إلا نحو العام (1890) بعد أن تخلى عنها أغلب أقطابها"⁶. كان أبرز رواد الحركة: مونيه Monet، وسيزلي Sisley، وبيسارو Pesaro، وشارك فيها رينوار Renoir وديجا Degas، واتصل بها مدة قصيرة سيزان ومانيه. ومع أن التأثيرية بوصفها مذهباً مرئياً محدود الأهداف لم تعش طويلاً، إلا أنها أشاعت موجة من التحرر في الفن.



الشكل (8) الحامل المزود بمكان للزيت وللألوان والقابل للحمل في الطبيعة.

⁶https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86

والأحلام، بلغ أوجه في أعمال الفنان الإسباني سلفادور دالي (1904-1989). تشمل أعماله: الرسم، والنحت، وتصميم المجوهرات، والأثاث المنزلي، والسينما.

وصار حامل اللوحة يمكن أن يكون أي شيء كقطعة أثاث أو ثياب أو باب أو شخص.. لكن المرسم حافظ على وجوده حتى وقتنا الحالي، وصارت له تصاميم تتناسب تغيرات العصر، وطريقة الرؤية، وصارت استخداماته على نطاق أوسع إذ صار يستخدم في العرض وكقطعة من الديكور.

وأدت التغييرات الهائلة في طريقة إنتاج الفن وطريقة عرضه إلى نوع من العبثية

وضياع المبادئ الفنية التي كانت تجمع الفنانين في كل مرحلة، وانعكس ذلك على التذوق الفني والنقد وتقييم الأعمال الفنية، كما أدى ذلك إلى خلق ردة فعل من قبل العديد من الفنانين ونقاد الفن، ومنها ما أشار إليه شريل داغر: "أن عالم الفن يعيش أزمة بين فنانين وعاملين في أجهزة عرض وتسويق وبيع وحفظ ونقاد وفلاسفة فن وغيرهم. وتتعيّن هذه الأزمة في إعلان "موت" اللوحة المسندية"⁹.

وهذا ما نلاحظه منذ العقد الأخير في القرن العشرين، في واقع "البيانات" الدولية في البندقية أو القاهرة أو الشارقة، إذ إنّ هذه البيانات باتت تقصر عروضها ودعوات الفنانين إليها على التجريبيين منهم، أي الخارجين على منطق اللوحة"¹⁰.

لكن الحامل حافظ على وجوده مع ما سبق كلّه في المحترفات الفنية الخاصة وفي أكاديميات الفن، وما تزال اللوحة المسندية تشير إلى فن التصوير، والحامل جزء من هذا الفن مع اختلاف الطراز، ففي القرن السادس عشر

المتحدة الأمريكية، كان تأثير هؤلاء الفنانين واضحاً في المجتمع والفن الأمريكي، حيث حملوا معهم تأثيرات الآلة إلى الثقافة الأمريكية الحديثة⁷، فظهرت أعمال الفنانين الأمريكيين أمثال تشارلز ديموث، وتشارلز شيلر ممثلة بالحيوية والحركة من خلال الصور الفوتوغرافية واللوحات الفنية للمناطق الصناعية والآلات الثقيلة.

"في بداية القرن العشرين، بدأ العلماء يشكون في النظرة الميكانيكية للكون، وظهر ما يعرف بالثورة الثانية في العلوم والتكنولوجيا. وقد أسهم في هذه الثورة العلمية، علماء أمثال: ماكس بلانك Max plank (1858-1947)، وألبرت أينشتاين Albert Einstein (1879-1955)، وإيرنست رازرفور Ernest Rezerford (1871-1937)⁸. كل عالم من هؤلاء، أسهم في هز الإيمان بحقيقة فهمنا للمادة، ومن ثم مهدوا جميعاً لعلوم حديثة وعالم جديد من المعرفة. نظرية بلانك في الميكانيكا الكمية عام 1900، والنسبية الخاصة لأينشتاين، وتركيب الذرة لرازرفور، وبور وغيرهم.. هذا كلّه أدى إلى فهم جديد للمادة والطاقة.

وفي هذا الوضع وجد الفنانون أنفسهم أمام تحدي مواكبة التغييرات، وضرورة إعادة تقييمهم للنظريات الفنية الكلاسيكية. لذلك نجد معظم تاريخ الفن في القرن العشرين، ما هو إلا تاريخ رفض للأساليب التقليدية.

من الفنانين التعبيريين الذين تحدوا الأسلوب التقليدي، واتجهوا إلى التجريد بجرأة شديدة، هو الرسام "بابلو بيكاسو" (1881-1973). ولد في إسبانيا، وأجاد مدارس الرسم التقليدي كلّها التي ظهرت في القرن التاسع عشر. وكذلك الفن السريالي الذي يستكشف ويصور أغوار النفس

⁷ عبد الحفيظ، أحمد: الآلة كعنصر تشكيلي في التصوير المعاصر، رسالة ماجستير إشراف محمود عبد الحليم الغايش، جامعة المنيا كلية الفنون الجميلة 2008م ص 23

⁸ <http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-109847.htm>

⁹ داغر، شريل: العين واللوحة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م.
¹⁰ جريدة "المستقبل"، الخميس 12 تشرين الأول 2006 بظان النقي: اللوحة المسندية والمحترفات العربية.



الشكل (10) اللوحة المسندية المزخرفة

كانت الحوامل الخشبية البسيطة هي المفضلة، وفي القرن 17-18 بدأت تظهر تأثيرات عصر الباروك والروكوكو في الديكور الفخم والضخامة والزخرفة والتزيين، وفي القرن التاسع عشر كان الحامل البسط الأنيق هو المفضل، ويمكن أن يزيّن ببعض النقوش أو التذهيب¹¹.



الشكل (9) "بورتريه أمام الحامل"، الفنان الشهير فنسنت فان جوخ Vincent Van Gogh .

نتائج البحث:

1. اللوحة الحامل بمفهومها العملي تعود لمراحل ما قبل التاريخ، إذ نستطيع عدّ كل ما يحمل مادة الموضوع الفني بالحامل.
2. إنّ تاريخ الحامل يعود إلى مراحل ما قبل ما يسمى اليوم باللوحة المسندية. وكان الحامل دوماً جزءاً من تاريخ فن التصوير.
3. إنّ تطور الحامل كان له تأثيره المهم في فن التصوير الذي أثر بدوره في الحركة الفكرية والثقافية.
4. أثبتت الأساليب التقليدية التي تمثلت بالحامل والمحترف جدارتها وفعاليتها بمواكبة تغيرات العصر خلال مسار تطورها.
- 5- إنّ الفنون المعاصرة التي أقصت المفهوم التقليدي للحامل واللوحة المسندية، كانت مرحلة تطور لحامل اللوحة، وليست إلغاء له.

في الوقت الحالي صارت تلك الحوامل التي تعود إلى القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر الميلادي تحفاً فنية عالية القيمة عند الفنانين وجامعي التحف، والحوامل المزينة بالنقوش ما تزال مرغوباً فيها وتحظى بشعبية على نطاق واسع (الشكل 10).

¹¹ Antique Easel Image - Marshall B. Davidson. American Heritage Dictionary of American Antiques from the Revolution to the Civil War. (U.S.A: American Heritage Publishing Co., Inc.) 1968.108.

REFERENCES المراجع

- 1- عبد الحفيظ، أحمد: الآلة كعنصر تشكيلي في التصوير المعاصر، رسالة ماجستير إشراف محمود عبد الحليم الغايش، جامعة المنيا كلية الفنون الجميلة 2008م.
- 2- داغر، شربل: العين واللوحة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م.
- 3- جريدة "المستقبل"، الخميس 12 تشرين الأول 2006 يقظان التقي: اللوحة المسندية والمحترفات العربية
- 4- Hieroglyph Man Image - Artist unknown. Scribe from Tomb of Saqqara. The Louvre, Paris. Everyday Life in Bible Times. Melville Bell Grosvenor, Ed. (Washington D.C.: National Geographic Society, 1967).
- 5-Pliny the Elder Image - Courtesy Prints and Photographs Division, Library of Congress-Naturalis Historius Image - Source: English wikipedia.
- 6- Contemplative Scholar Image - Wang Wei. Scholar Fu Sheng. Osaka Municipal Museum, Osaka. Ancient China. By Edward Schafer. (New York, TIME LIFE Books, 1967).
- 7-Socrates and Plato Image - Matthew Paris. Drawing from Liber Experimentarius by Bernardus Silvestris. The Bodleian Library, Oxford. The Age of Faith. By Anne Fremantle. (New York: TIME LIFE Books Inc., 1965)
- 8 https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86
- 9- Antique Easel Image - Marshall B. Davidson. American Heritage Dictionary of American Antiques from the Revolution to the Civil War. (U.S.A: American Heritage Publishing Co., Inc.) 1968.
- 10_ <http://lingualeo.com/es/jungle/easel-painting-historical-notes-270835#/page/1>
- 11- <http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-109847.htm>

Received	2017/03/22	إيداع البحث
Accepted for Publ.	2017/05/18	قبول البحث للنشر